



(فريق تحرير البينة - ميدل ايست اونلاين) - فاروق يوسف

نجحت إيران في تحطيم المعادلة الاقليمية التقليدية. فبدلاً من أن تكون عوناً للعرب في صراعهم مع العدو الصهيوني صارت تشكل مصدر خطر عليهم ولا أحد يفهم أسرار المسافة التي تفصل ما بين عداء إيران النظري لإسرائيل وبين عدائها العملي للعرب.

إيران التي تحفل سنوياً بيوم القدس ترى كما يبدو أن العرب يقفون حاجزاً بينها وبين إسرائيل. نظرية وضعها نظام العلاجي موضع التنفيذ تعبراً عن كراهيتهم للعرب في حين كانت تلك النظرية محل تردد قبل أن يستولي الخميني على السلطة.

يومها كانت إيران ترتبط بعلاقات قوية مع إسرائيل غير أن علاقتها بالعرب لم تكن سليمة. وهو ما حفظ للشرق الأوسط الكثير من التوازنات المقبولة، بالرغم من أن العرب كانوا ينظرون بغيظ إلى ما كانوا يعتبرونه نوعاً من الازدواجية في النظر إلى قضيتهم العادلة.

غير أن إيران وبالرغم من علاقتها المبنية بإسرائيل لم تكن تشعر به خطر توجهاتها السياسية، بل على العكس من ذلك تماماً فقد كانت علاقتها بالعديد من الدول العربية حسنة ولا تخلطها الشبهات.

ما لم يتوقعه العرب أن توسيع علاقتهم بإيران التي انتقلت إلى مرحلة نصرة الفلسطينيين وإنهاء العلاقة بإسرائيل بل والدعوة إلى تحرير القدس وبباقي الأراضي العربية المحتلة.

وقائع العقود الثلاث تؤكد بما لا يقبل التبس أن إيران عملت على زعزعة الامن والاستقرار في كل مكان وصلت إليه من العالم العربي من غير أن تتحقق بإسرائيل أي ضرر مادي أو معنوي.

لقد كانت إسرائيل ولا تزال خارج المنطقة التي تعتبرها إيران مجالها الحيوي الذي يحق لها أن تتحرك فيه من أجل تصدير ثورتها وهو الشعار الذي جسدهته من خلال نشر الفوضى وبث أسباب الفتنة ومحاولة ضرب استقرار البلدان العربية من الداخل مستغلة همتتها الطائفية على عدد من الجماعات الموالية لها وهي جماعات تفتقد إلى الحس الوطني في تصريف خلافاتها سواء مع الأنظمة أو المجتمعات.

وإذا ما استبعدنا عنصر الارتباط السري بين المشروعين الإيراني والإسرائيلي فإن إيران من خلال استغلالها لشيء من قوة العرب قد قدمت لإسرائيل خدمة الصديق الوفي الحريص على مصالحها أكثر حتى من الدول التي تعطن عن ارتباطها الاستراتيجي بها.

فما لم تكن إسرائيل قادرة على فعله بالعرب فعلته إيران.

على مستوى الواقع فإن إسرائيل لم تتغفل في العالم العربي ولم تفوت على تدمير دول عربية وتحطيم أسباب الحياة فيها ولم تتمكنها أجهزتها الاستخبارية المتقدمة من تمزيق مجتمعات عربية.

كل هذا فعلته إيران من موقع المباهأة والفاخر.

ولأنها لا تعترف بقواعد العلاقات بين الدول فقد ذهبت كل المنشدات العربية من أجل منعها من الانزلاق إلى موقع العدو أدرج الرياح.

الآنكي من ذلك أن إيران صارت تعتبر الاختراقات التي حققتها في العالم العربي من خلال انزعها وهي التسمية الملطفة لتلك الجماعات التي تدين بالولاء لها نوعا من الانتصار في حرب مفتوحة مع العالم الخارجي.

وهو ما جرى تكريسه في العراق وسوريا من خلال قطب العالم المتنازعين.

لقد تركت الولايات المتحدة العراق في قبضة إيران فيما صارت روسيا تعامل مع الوجود الميليشاوي الإيراني في سوريا باعتباره جزءا من المسألة السورية.

وافع الحال يقول إن إيران أصبحت جزءا من مشكلتي البلدين اللتين لا يمكن حلهما قبل تحجيم الدور الإيراني فيهما.

أما أن ترك إيران تتمدد على هواها حاملة معها أزماتها مثل الغام فإن ذلك يستدعي موقفا عربيا حازما وموحدا هو بحجم ما يشكله المشروع الإيراني من أخطار.

"إيران هي العدو" خلاصة ينبغي على العرب أن يتعاملوا معها من غير أن يهربوا من مواجهة الحقيقة.